عند البصّارة

قبيل السفر من بيروت الى ضـــفاف « كام » ، الى كيمبردج

حوار داخلي تسوق طرفا منه البصـــارة والجن الذي يحل فيـها ، فيجسدان للشاعر رعبه من صمت لن يتولد عنه غير مأســـاة تحيله الى مجنون متأله او مهزلة تحيله الى ساحر مهرج . وفي كلا الحالين يستفيض بمعجزات وهمية معادلة لمعجزات ارادها ان تعيد خلق الواقع .

وفي النشيد الاخير يتحدى الشـــاعر الصمت الذي ارعبه ودفعه الى ســـؤال البصارة عن مصيره ، ويتغلب على المفجع بأفجع منه ، بتضحية قد ترضي ربه فيسعفه على الشعر بقدرة خالق .

— ١ —

ضحكتْ من بصارة الحيِّ
وماذا ؟ عدت من مفترق
يغلي بموج الرمل والاصداءِ والبروقْ
مشوَّش العينينِ
أسترحم ما تحكي لعينيها
خطوط الغيب في راحتي
ونجم عمري ما نوايا ضوئه السحيقْ
وما لسان النار
ما يحكي لسان النار والدخانْ
(ينبع من مبخرة سوداءَ
شدقيْ مارد وجانْ)
عن طرقٍ مابرحت في رحم الزمان.
ضحكت من بصارة الحيِّ
وماذا ؟ هل طريقْ
غير ما يرسم لي في الرمل من طريقْ
اصبعُها المقوَّس العتيق
ضوء عصا بيضاء في عتمتي
يمسح عن جبهتي
زوبعةَ الشوك التي تعصبها
الاصداءُ والبروقْ

— ٢ —

وحلَّ في البصارة الجنُّ
وأرغى فمُها ازرقَّ
وفي غيبوبة جنونْ
أبرق ضوء وتجلت طرق الغيبِ
وكانت طرقا ملعونةْ
سمعت صوتا ساخراً لعينْ
تريد ان تعرف ماذا في غد تكون ؟
وجها غريبا ،
ناسكا على ضفاف « كام »
رمَّد في أذنيه صوت الرب
والهيكلِ كهف
وصدى يتَّهم التسبيح والصيامْ
وموسم الخمرة والمرمر والجمر
حرام ذكره حرام .
يا ناسكا على ضفاف « كام »
شروشه تصدأ في غربتهِ
وصمته ليلٌ ، سواد حجري ،
حلقة من صدأ الحديدْ
هيهات لن يختمر الصمت
ويعطي ثمرات ،
جزرا تهزج عبر الصحو والسكون
وربما انشق ضمير الصمت
عن شمس بلا ضوء
وحمئى أنجمٍ محمرة يغزلها الجنـون
وربما توجك الجنون
أهدى اليك خاتما
يطوِّع الغيب لمـا تريد

يستنبت الياقوت والمرجانَ
من اودية الصوان والحديد

— ٣ —

وعاد ذاك الساخر اللعين
تريد ان تعرف ماذا في غد تكون ؟
ظل هنا ، ان شئت ،
واملأ صمتك الاجوف
من حمى الاغاني
في مقاهي الشط والخليج
ومن بخار أبيض يطفو على المستنقع
البهيج
من مرح الشمس
الذي يغزل لونا واحدا
في برك الوحل وصحو النبع والرمال،
العفن المطمور في الظلال
ظلال ورد ابيَض وزهر برتقال .
. . . . . .
أراك شرَّشت هنا
في ضفة المستنقع البهيج
أراك تمتص عصير العفن المعجون
بالوحول
تمتصك الوحول
أراك تستحيل
لشجرة مسمومة ، ثم لتمساح عتيقٍ
يتقي بجلده الذبابَ
والعلق الاصفر والذئاب
رائحة الانثى التي تئن عيناها لمن تراهُ
يختلج الوعد على الشفاه
وذات ليل سقتها للنهر
أنَّت ، ركعت ، همت بها يداك
ثم ارتخت يداك
. . . . .
وبينما انت تعاني صمتك الاجوف
تبلو العفن المعجون بالوحول
اراك تستحيل
لساحر يموه الاشياء في العيون
مهرج حزين
في مسرح الفجر
يروض الافعى ويمشي حافيا
يمشي على الجمر على الابر
يعجن في اسنانه الزجاج والحجر
يضم في كفيه وهج الشمس للظلال
ينسج منها هالة وشال ،
حورية تهبط من أكمامه الطوالَ .
. . . . .
مهرج حزينٌ
وساحر يموه الاشياء في العيون

— ٤ —

— الا تراني غير تمساح
تراني شجرة مسمومة
صمت جحيمٍ يغزل الجنون ،
مهرجا حزين ؟
— اراك في الصحراء كهفا صامتا
اتعس مما كنت من سنين
الا الا تسمع صوتا وصدى
يفري كهوف الصمت بالهزيج
كأنما جدرانها تحولت صنوج ؟
الا ترى ملء وريدي خمرة الشمس
عروقي شجرة البهار
دمي يحيل العفن الجاري
ثريات من العافية الخضراء والثمار ؟
الا ترى في فوهة البركان وجهي عاريا
والنار تجتر نعالي
ثم ترميها الى السفوح
ودخنة من رئتي
دخنة نار ودم
تروى عروق الرب حتى ينتشي ،
يبوح ؟
— لست ارى
— اني ارى الطريق
من اخرس الاصداء والبروق
من احرق العتمة والظنون
كأنها من قبل ما كانت ولن تكون
اضحك من بصارة الحي
وما لفق جن ساخر لعين .

بيروت **خليل حاوي**